العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

التطبيقات العملية لوظائف ياكبسون في سورة التغابن: في ضوء المنهج الوظيفي

م.م. حسين فائق صادق
م . م. عبد السلام حسون ابو خويط
مديرية تربية المثنى

مستخلص البحث :

توصّل البحث الى حقيقة مفادها أنّ القران الكريم يحتمل الدراسات اللسانية الحديثة ويحوي فروعها واصولها ، فمبدأ الدراسات اللسانية واللغوية مبدأ حديث وجد مصاديقه في القران الكريم ، واتخذ الباحث سورة التغابن مثالا لهذه المصاديق ، ليصل لنتيجة إن الدرس اللساني الذي جاء به ياكبسون في البحث الصوتي وأثره في الخطاب اذا ما تم اسقاطه في القران الكريم ، لوجد هناك تناسق زمني وانسجام صوتي بين اصوات الحروف ومعانيها من جهة ، ومعاني العبارات منجمعة من جهة أخرى ، واذا ما احصينا تلك الاصوات وغاية السورة لوجدنا إن هناك ارتباط وثيق بين المعنى العام للسورة وتسميتها وبين صفات اصوات الحروف ، إذ شغل حرف (الألف) الذي يحمل صفتّي الجهر والشدة التي تتناسب مع معنى التغابن نسبة 9% من حروف السورة ، أي ما يصل لـــ 189 مرّة ، وهو ما يتناسب وغاية السورة التي دارت على ضرورة الابلاغ والتبليغ والانذار وهو ما يناسب الشدة والاستطالة . فيما جاء في المرتبة الثانية من الاستعمال صوت الواو بواقع 105 مرة بنسبة 5.09 % وهو ايضا من اصوات المد والاستطالة والقوة فالالف صوت مد يدل على الانفتاح وهو اكثر انتشارا يلاءم الدعوة والانذار

كلمات مفتاحية : التطبيقات العملية ، وظائف ياكبسون ، سورة التغابن

Practical Applications of Jakobson's Functions in Surah At-Taghabun: In Light of the Functional Approach

A.L. Hussein Faiq Sadiq

A.L. Abdul Salam Hassoun Abu Khwait

Al-Muthanna Education Directorate

Research Abstract

The research concludes that the Holy Qur’an is compatible with modern linguistic studies, encompassing both their foundational principles and specialized branches. While the framework of linguistic analysis is a modern development, its practical applications are profoundly evident within the Qur’anic text. Using Surah At-Taghabun as a case study, the researcher demonstrates that applying Roman Jakobson’s linguistic theories regarding phonetic analysis and its impact on discourse reveals a deep temporal symmetry and phonetic harmony.The study highlights a distinct correlation between the phonetic properties of individual letters and their specific meanings, as well as the collective thematic meaning of the verses. By quantifying these sounds in relation to the Surah’s objective, a close link emerges between the overall theme, the title of the Surah, and the phonetic attributes of Its characters:The Letter Alif : Characterized by Jarh (vocal resonance) and Shiddah (intensity)—traits that align with the concept of At-Taghabun (mutual loss/gain)—it accounts for 9% of the Surah’s letters, appearing 189 times. This frequency serves the

Surah’s core purpose of proclamation (iblagh), notification (tabligh), and warning (indhar), all of which require phonetic intensity and elongation.The Letter Waw : Ranking second in frequency, it appears 105 times (5.09%). As a sound associated with extension (madd), elongation, and strength, it complements the Alif. The Alif, as an open vowel sound, signifies openness and wide dissemination, further harmonizing with the themes of divine invitation and warning.

Keywords: Practical Applications, Jakobson's Functions, Surah At-Taghabun

المقدمة :

حظيت المدارس اللسانية باهتمام واسع من قبل الدراسين ، لما لها من أهمية كبيرة في اثراء المكتبة اللغوية ولمواكبتها التطور والنماء اللغوي في العالم ، لذا عمدت الدرس العربي لاستظهار تلك المدارس اللسانية الغربية في النصوص العربية ، مع وجود من يؤصّل لتلك المدارس في الدرس اللغوي العربي التراثي ، وبعيدا عن تلك الدراسات التي لها من الاهمية والمساحة عند الدراسين ما لا ينكـــره أحد ، يحاول الباحث أن يدرس سورة التغابن في ضوء المنهج الوظيفي ضمن بحث الكورس لمادة مناهج البحث اللغوي وتضمّن بيان المنهج الوظيفي وتطبيقات وظائف ياكبسون الصوتية في سورة التغابن .

لمحة عن أسس النظرية

ظهرت المدرسة الوظيفية في 1926 أي بعد عشر سنوات من صدور كتاب دي سوسير الذي نشره تلميذاه في 1916، فكونت جماعة من العلماء التشيكوسلوفاكيين حلقة دراسة ضقت مجموعة من الباحثين من البلاد الأخرى.

وكان رائدهم رومان ياكبسون بالإضافة إلى تروبتسكوي وكارسفسكي، فقام هذا الثلاثي بعرض مجموعة من المبادئ اللغوية التي عرفت باقتراح رقم 522، أمام المؤتمر الأول للسانيين الذي انعقد بمدينة لاهاية بهولندا سنة 1928 تحت عنوان "النصوص الأساسية لحلقة براغ" .

عناصر الاتصال عند ياكبسون

يقوم نموذج ياكبسون الاتصالي على جملة من العناصر المُشكّلة له، إذ لولا تكاثفها لما تمت عملية الاتصال، ويمكن حصرها في ستة عناصر أساسية، يمكن توضيحها على الشكل الآتي:

1- المرُسِل:

إن المرسِل هو الفاعل الأول في عملية الاتصال، حيث يبادر بإرسال فكرة أو رسالة أو خطاب لطرف آخر بشتى الوسائل المُتاحة. ولا يمكن بأية حال من الأحوال فصل مفهوم المرسِل عن المرسَل له؛ لكونهما طرفان محوريان في عملية التواصل والإبلاغ، وهو ما سيأتي لاحقا.

2- المُرْسَل إليه:

وفي المعجم السيميائي يُشكّل كل من المرسل والمرسل إليه عنصرين متحدين لغاية التبليغ والإعلام، بمعنى أنهما يتضمنان داخل الصيغ اللفظية بشكل منطقي، حيث يمكن تسميتهما بـ اللافظ والملفوظ له، وبالتالي يشكلان مزدوجة داخل النموذج العاملي وذلك انطلاقا من الموضوع، ليستقر في الوقت نفسه على

محور التبليغ، وإلى أبعد من ذلك تتماهى العلاقة بينهما عندما يكون الموضوع محل اهتمام مشترك بين الطرفين[1].

3- الرسالة:

الرسالة في نظرية الإعلام هي التي يقوم الباث بإبلاغها إلى المتلقي، وذلك عن طريق قناة، تحمل هذه الأخيرة جملة من الإشارات المنتظمة وفقا لقانون السنن مما يستلزم عمليات البناء والتفكيك. وقد اقترح ياكبسون ثنائية السنن والرسالة عطفا على ثنائية دي سوسير اللغة، والكلام[2] ، مما يعني أن نظرية ياكبسون تقوم على صياغة متجددة للنموذج السوسيري.

4- السياق: يتجاوز ياكبسون دي سوسير في ثنائيته مُضيفا لها المرجع، ذلك أن الرسالة لا تُفهم ولا تؤدي دورها إلا بالعودة إلى سياقها الاجتماعي الذي نشأت فيه، حيث يماثل بين "السياق" و"المعنى" داخل الإطار اللغوي والفلسفي معا[3].

ومن الواضح أن تصنيف ياكبسون بأنه مفكر وظائفي يعود لاهتمامه أساسا بالوظائف الاجتماعية المنوطة باللغة، حيث تبرز المعاني وتتجلى عن طريق السياق الذي تجري فيه، ضمن الأطر التي يثريها المحيط الذي يؤسس اللغة ويبعث الحياة فيها ،لأن المنظور البنيوي الذي شيده دي سوسير كان أشد انغلاقا على بنية النص وألفاظه، في حين أن التواصل يأخذ أكثر من نمط وسبيل كي يحيا المعنى ويتجدد.

ومن جهة ثانية يعادل ياكبسون في نموذجه الاتصالي بين مفهوم السياق ومفهوم عالم الخطاب متجاوزا السياق اللفظي إلى السياق بكل حمولته، بمعنى أنه يحمل جانبا لسانيا أي ما يطلق عليه المعنى السياقي، أما علم المعاني فهو يضم المعنى العام في حين يوفر له المعنى السياقي السياق أي عالم الخطاب بطريقة واسعة مما يجعله واقعة لسانية[4].

5- قناة الاتصال

يتمثل مفهوم قناة الاتصال في ذلك المخزون الذي تنطلق منه عملية الاتصال والذي يساعد على إقامة التبادل والإبقاء عليه[5]، بمعنى أن عملية الانتباه تتحدد وفق قناة الاتصال، ُطوال تاريخ علوم اللغة، كان الاعتراف بالعلاقة المزدوجة التي تشكل جذر ما تعنيه الكلمات حقيقة مثبتة. ولكن كان من المستحيل إقامة علاقة ثابتة بين الاثنين، بين المعنى والفرض، والفهم، والمعنى والمرجعية إلا ضمن قناة الاتصال المتغيرة باستمرار.

6- السنن

السنن أو الكود أو الشفرة هي كلها تسميات تطلق على مفهوم واحد يعني تلك القواعد أو الشفرات المشتركة بين المرسِل والمتلقي أو التكلمين عموما قصد إيصال فحوى الرسالة وتأويلها بشكل واضح. وينتشر هذا المفهوم بشكل أوسع في الدراسات السيميائية. ويربط ياكبسون بين الإشارات والسنن في عملية الإدراك والفهم، بمعنى أن الإشارات لا يمكن أن يكون لها معنى إلا إذا كانت محمولة بسنن تنتظر فكها، ويظهر ذلكعن طريق ضرورة اللجوء إلى سنن لفظي محدد بطريقة مناسبة عند مجاولة التعرف

---

[1] () قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، رشيد بن مالك، الجزائر: دار الحكمة، 2000م: 55.
[2] () قاموس مصطلحات التحليل السيميائي " 106 .
[3] () أسس السيميائية، دانيال تشاندلر، .لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008م :309
[4] () نفسه: 310
[5] () قاموس مصطلحات التحليل السيميائي : 77

على مدلول ما[6]، بمعنى أن الحدث الكلامي مرهون باستعمال السنن خاصة إذا كان مشتركا بين المتخاطبين. ويختصر الباحث اشاراته عن النظرية ليدخل في الجانب التطبيقي بما يناسب عنوان البحث .

الوظائف اللغوية في سورة التغابن:

١) الوظيفة التعبيرية (الانفعالية)la fonction expressive :

وهي الوظيفة التي تركز على المُرسِل؛ لأنها" تهدف الى أن تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، وهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو كاذب" [7]، فهي تتمحور حول المرسل في تعبيره المباشر عن موقفه مما يتكلم عنه أو يكتبه[8].

ولعل صيغ التعجب هي أهم شكل تعبيري معبر عن هذه الوظيفة؛ لأن هذه الصيغ تلون أقوال المرسل بدرجات معينة سواء على المستوى الصوتي أو المعجمي أو النحوي أو التركيبي لذلك يفضل تسمية هذه الوظيفة بالانفعالية من تسميتها بالعاطفية[9].

ويمكن أن نتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَتِ فَقَالُوا أَبْشَرَ يَهْدُونَنَا**﴾[10]، فهم أنكروا أن يكون الرسل بشراً[11]، ويمكن الاستعانة بوظائف صوتية أخرى مثل التنغيم فهو ما يولد اختلافا في المعنى إلى درجة أن كل كلمة تؤدي حالات تعبيرية مختلفة [12] للكشف عن الحالة الإنفعالية التعجبية الإنكارية للكافرين من قولهم: ﴿**أَبْشَرَ يَهْدُونَنَا**﴾، فهي تعبير عن رفض وعدم قبول الدعوة.

2-الوظيفة الندائية الإفهامية (التأثيرية)la function conative:

تتركز على عنصر المُرسَل إليه، وتسعى متوسلة باللغة إلى إثارة انتباهه أو الطلب إليه القيام بعمل ما، فتدخل في صلبها الجمل الأمرية، والنداء والاستفهام ويطلق عليها بعض اللسانيين مصطلح (وظيفة تأثيرية) impressive function، والغرض منها هو لفت انتباه المتلقي والتأثير فيه قصد اقناعه بالآراء والأفكار والقضايا التي تحملها الملفـــوظات والنصوص. ومقصد الاقناع هذا يستلزم فعالية لغوية ومنطقية تنظم الخطاب بطريقة خاصة ، تؤثر في المتلقي ، وتجعله يعيد النظر فيما كان يحمله من أفكار ومعتقدات[13].

وتبرز هذه الوظيفة على سطح الخطاب عندما تتجه الرسالة إلى المرسل اليه، وتجد تعبيرها " الأكثر خلوصا في النداء والأمر اللذين ينحرفان، من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية في الغالب، عن المقولات الاسمية والفعلية الأخرى، وتختلف جمل الأمر عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية: فالجملة الخبرية يمكنها أن تخضع لاختبار الصدق، ولا يمكن لجمل الأمر أن تخضع لذلك" [14].

---

[6] () أسس السيميائية: 306

([7]) قضايا الشعرية، رومان جاكبسون ، ترجمة محمد الولي ، مبارك حنون، دار توبقال للنشر، ط/1، 1988 29.

([8]) ينظر: اللغة والايديولوجيا، أوليفي روبول، ترجمة حنون مبارك، مجلة علامات، ع1999،12م ،37.

([9]) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية، عالم الكتب، إربد – الأردن ، ط/1، 2012 د. حسن بدوح 48.

([10]) سورة التغابن :6

([11]) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، ط/1، 1988: 132/6

([12]) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية:48

([13]) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية 50.

([14]) قضايا الشعرية 29 .

وتُلحَظ هذه الوظيفة في الخطاب القرآني في سورة التغابن وتحديدا في أولها فالخطاب تأثيري يعمد إلى الإقناع والتأثير، ففي قوله تعالى: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ [15] ، فالسورة مشتملة على التذكير بأن من في السموات والأرض يسبّح لله تعالى، وأنَّ الله تعالى وحده هو الحقيق بإفراده بالحمد؛ لأنّه خالق الناس كلهم، فآمن ناس بوحدانيته وكفر آخرون، وتحذيرهم من إنكار رسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وإنذارهم ليعتبروا بما حل بالأمم قبلهم حينما جحدوا رسلهم [16]، فاستعمل القرآن الصيغ الاثباتية التي تحمل قيمة تأثيرية موجهة إلى المرسل إليه للإذعان والانصياع، فهي مشتملة على إبطال شركهم وزجرهم عن دين الشرك، فقوله تعالى: ﴿ **بِالْحَقِّ** ﴾ إيماء إلى إثبات البعث والجزاء [17]؛ لأن مقصد هذه الوظيفة هي الاقناع والتأثير فاستلزم فعالية منطقية لدفع الاعتقاد الزائف.

كما تظهر الوظيفة الندائية في قوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[18]، فللأمر وظيفة إفهامية تتضمن إلزامهم بقبول الإيمان بعد أن تبينت الحجج، والمراد بالنور القرآن [19] .

3-الوظيفة المرجعية :

وتتجة هذه الوظيفة نحو المرجع المشترك بين طرفي التواصل الأساسيين، أي ما هو مشترك ومتفق عليه بين المُرسِل والمُرسَل إليه، وهو المسوغ لعملية التواصل، فهي الوظيفة التي يعتمد عليها لتعيين الموضوعات كي تأخذ دلالات معينة ولذلك تسمى أيضا بالوظيفة التعيينية. فهي قاعدة كل اتصال؛ لأنها تكشف العلائق القائمة بين (الرسالة) وموضوع ترجع إليه، إذ إن المسألة الأساسية تكمن في صياغة موضوعية لمعلومات صحيحة عن المرجع، يمكن ملاحظتها والتدقيق في صحتها، وبالتالي فهي التي تجد العلاقة بين الدال والمدلول. ويتضح ذلك بشكل جلي في الضمائر الشخصية، وأسماء الإشارة، وأسماء الموصول، وأسماء الأعلام، وأزمنة الأفعال [20].

وتتضح الوظيفة المرجعية في الآية المباركة ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [21]، فالمرسل النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) مخاطبا الكافرين وهم المرسل إليه والمرجع (المتحدث عنه) هو إنذارهم يوم القيامة، فالظرف(يوم) متعلق بـ(تبعثن)، الذي هو كناية (تجازون) على تكذيبهم بالبعث، فيكون من تمام أمر النبي أن يقول لهم ابتداء: (قل بلى وربي لتبعثن) [22] ، فالسياق في الآية وما سبقها يقع في وظيفة مرجعية تبين عاقبة الإنسان وهو يوم عظيم أسماه القرآن يوم التغابن.

4-الوظيفة الانتباهية (التأكيدية) la function phatique.

([15]) سورة التغابن: 1-3
([16]) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس: 259/28.
([17]) ينظر: المرجع نفسه:264/28
([18]) سورة التغابن:8
([19]) ينظر: التحرير والتنوير:272/28
(20) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية 51.
([21]) سورة التغابن:9
([22]) التحرير والتنوير: 274/28

تعد وظيفة التنبيه، من بين الوظائف اللغوية التي وضعها العالم اللغوي مالينوفسكي، ويتجلى أثر هذه الوظيفة في ربط الاتصال، والتأكد من أن القناة ناجعة وإن انتباه المتلقي مشدود[23].

وقد أخذ جاكبسون هذه الوظيفة عن مالينوفسكي. يقول جاكبسون بأن هذه الوظيفة" توظَف لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من أن انتباهه لم يرتخ " [24].

فهي لا تقوم بتزويد المتلقي بقيم اخبارية، بل ينحصر دورها في التأكيد على فاعلية التواصل واستمراره أو تمديده أو قطعه، وهذا إن دلّ على شيء يدل على أن ليس كل تواصل إبلاغ، فهي أنماط لغوية تقوم بأدوار خارجية عن نطاق الخطاب الإبلاغي لتزويد المتلقي بقيم إخبارية، تؤدي وظيفة المحافظة على سلامة جهاز الاتصال والتأكد من استمرار مرور سلسلة الرسائل الموجهة إليه على الوجه الذي أرسلت به، وهذا ما ذهب إليه جاكبسون عندما أقر بأن هناك رسائل توظف في الجوهر، لإقامة التواصل وتمديده أو قصمه، وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل ألو! هل تسمعني ؟ وتوظف لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من أن انتباهه لم يرتخ قل، أتسمعني؟»، أو بالأسلوب الشكسبيري أستمع إلي ! (00) ومن الجانب الآخر من الخط هم - هم) [25] .

وتبرز هذه الوظيفة في سورة التغابن بتكرار ضمير الخطاب(الكاف) الذي يلحظ وظيفته التأكيدية، فالخطاب موجه للمؤمنين بتحذيرهم من بعض قرابتهم الذين تغلل الإشراك في نفوسهم تحذيرا من أن يثبطوهم عن الإيمان، وتثبيت المؤمنين على ما يلاقونه من ضر أهل الكفر بهم [26] ، الضمائر : (خلقكم، منكم، يجمعكم...) كما أن يلحظ النداء حاضر في الوظيفة الانتباهية، ففي قوله تعالى: ﴿**يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوا لَّكُمْ فَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُو وَتَصْفَحُو وَتَغْفِرُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [27] تنبيه المؤمنين وتحفيزهم على الجهاد وعد سماع قولهم عند حملهم على عدم الإيمان أو ترك بعض الأعمال الصالحة واقتراف بعض الكبائر [28] .

5-وظيفة ما وراء اللغة la function metalinguistique.

وتتمحور هذه الوظيفة حول السنن ومن ثم فإن اللغة عندما تؤدي هذه الوظيفة تصبح لغة صناعية تستخدم لتفسير لغة طبيعية ووصفها مثال ذلك: لغة النحاة المستعملة لتفسير عمل اللغة ووصفه[29]. وتظهر هذ اللغة في الرسائل التي يكون محورها هو اللغة نفسها فتتناول بالوصف اللغة نفسها، وتشمل هذه الوظيفة عناصر البنية اللغوية وتعريف المفردات.

وبما أن هذه الوظيفة تستدعي من المرسل التأكيد من الاستعمال السليم وتوضيح السليم للسنن وشرحها، فتبدو في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [30]، فهو توصيف ليوم الجمع، فهو يوم القيامة لظهور الغبن فيه في المبايعة المشار إليها [31] في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ

---

[23] ينظر: اللغة والبيئة، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات الزمن ، 2003: 94

[24] قضايا الشعرية 30.

[25])ينظر: التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، الطاهر بن حسين بومزبر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط/1، 2007: 43

[26])ينظر: التحرير والتنوير:259/28

[27]) سورة التغابن :14

[28])ينظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي، ط/1، 1997: 320/19

[29] ظ: المحاورة مقاربة تداولية 53.

[30]) سورة التغابن: 9

[31]) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مؤسسة الأعلمي، ط/1، 2009: 471

مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [32]، فهو" مستعار من تغابن القوم في التجارة؛ وهو أن يغبن بعضهم بعضًا، لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالأشقياء؛ لأن نزولهم ليس بغين" [33]، فذكر التغابن على ما يبدو عند الزمخشري كان وظيفته التهكم.

6-الوظيفة الشعرية أو الجمالية:

تتمحور هذه الوظيفة حول الرسالة نفسها، وهو العامل الوحيد المتبقي في ترسانة الأبنية التواصلية، وهو ما تتمحور عليه هذه الوظيفة الشعرية، أو الجمالية، أو البلاغية؛ لأن استهداف الرسالة بوصفها رسالة والتركيز على الرسالة لحسابها الخاص هو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة[34]. فهي الوظيفة الجمالية بامتياز، إذ إن المرجع في الفنون، هو الرسالة التي تكف عن أن تكون أداة الاتصال لتصير هدفه.

وهذه الوظيفة لا يمكن اختزالها فقط في دراسة الشعر، إذ "ليست الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة، بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحددة"[35] ، وقد بين ترنس هوكز أن الوظيفة الشعرية تبدو في نظريته بوصفها مجالا لكل استعمالات اللغة، ولا يمكن أن تقتصر على جنس الشعر فقط، إنما هي تشكل جزءا من الطريقة التي تعمل بها كل لغة وليست مجرد ألاعيب لغوية يمارسها الشعراء، أو الوظيفة الوحيدة للأدب، بل هي وظيفته المهيمنة والمحددة، في حين أنها تبدو في الأجناس الأخرى عنصرا ثانويا كماليا، وبتطوير دلالية العلاقة تعمق هذه الوظيفة الثنائية الأساسية للعلاقات والاشياء[36].

يقصد بشعرية اللغة إذن، انزياحها عن معايير اللغة العادية المألوفة وطبيعتها. ويتحقق هذا الانزياح من خلال المستويات الآتية: الانزياح الدلالي، والانزياح الايقاعي، والانزياح التركيبي[37]. ففي النص الأدبي تتوارى الوظيفة المرجعية ويتراجع دورها لصالح الوظيفة الشعرية؛ ومن ثمة تتسم اللغة الأدبية بالإثارة والتكثيف الجماليين، ووسيلتها في ذلك أدوات فنية وصور معبرة وموحية مختلفة ومتعددة، بعضها قديم وموروث؛ كالمجاز والاستعارة والتشبيه ... وغيرها من فنون البيان، وبعضها الآخر جديد ومستحدث كالرمز والأسطورة، و يدخل ضمن هذه الوظيفة: الإيقاع وكل ما يرتبط به من تكرار بعض الحروف، أو المقاطع، والسجع والجناس والتوازنات الصوتية المختلفة الأخرى.

((وتعد اللغة مكونا أساسيا من مكونات الصورة الشعرية، ولأجل ذلك يحرص الشاعر على اختيار مفرداته، وفق محورين هما محور التأليف (axe syntogmatique) ومحور الاستبدال (axe paradigmatique) مما يسمح له بخلق انزياح على المستوى التركيبي والدلالي، وبهذا العمل تكون الصورة قد أدت وظيفة جمالية من خلال تقديمها للمعنى في صورة تبتعد به عن اللغة المألوفة على مستوى الدلالة والتركيب، إلى جانب وظائف أخرى: انفعالية، ووصفية، وحجاجية، (عندما يكون القصد من الصور الشعرية هو اقناع المخاطب بوسائل مثل: الاستمالة النفسية، والشرح، والقياس، والتعليل)[38])

وهذه الوظيفة تتحدد عند جاكبسون بإسقاط مبدأ التماثل الخاص للمحور الجدولي الاستبدالي (paradigmatic) على المحور النظمي السياقي (sintagmatic). فالاختيار ناتج على أساس قاعدة من

([32]) سورة البقرة: 207
([33]) الكشاف: 133/6
([34]) قضايا الشعرية 31.
([35]) قضايا الشعرية 33.
([36]) ظ: قضايا الشعرية 33 .
([37]) ظ: المحاورة مقاربة تداولية 54.
([38]) المصدر نفسه 54.

التماثل والمشابهة والمغايرة والترادف والطباق، على حين يعتمد التأليف وبناء المتوالية على المجاورة[39].

وينتهي رومان جاكبسون إلى أن هذا العلم هو جزء من الدراسات اللسانية، ولا يحق للسانيات أن تتخلى عنه، أو تهمله، إذ من واجب اللسانيات أن تتدخل في "توجيه دراسة الفن اللفظي في جميع مظاهره وامتداداته" [40].

وتُلحَظ هذه الوظيفة في فنون البيان و البديع، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** ﴾[41] ، ففي قوله تعالى يسرون ويعلنون(طباق) اضطلع بوظيفة جمالية، وفي قوله تعالى: ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ استعارة تصريحية بذوقهم الوبال، فهو مطلق الإحساس بالوجدان، فشبه ما حلَّ بهم من العذاب بشيء ذي طعم كريه يذوقه من حلّ به ويبتلعه؛ لأن الذوق باللسان أشد من اللمس باليد والجلد [42]، فكان لهذه الوظيفة الأثر البالغ في نفس المرسل إليه، كما يبدو أنها تضطلع بوظيفة إقناعه واضحة للتأثير.

المطلب الثاني : (الدراسة الصوتية)

ظهرت نظرية الفونولوجيا لتميز بين أصوات اللغة من حيث وظيفتها ودلالتها من حيث إنتاجها ومخارجها وصفاتها ؛ لذلك فإن خصائص أي لغة تقوم على أساس التقابلات بين الأصوات التي تميز الكلمات، وأن لكل صوت مجموعة من السمات، والملامح التي تميزه من أصوات اللغة الواحدة. ونظرية الفونولوجيا التي طورها البراغيون على الخصوص، فالفونولوجيا للفوتنيك بمثابة الاقتصاد السياسي عندما يدرس السلع، أو بمثابة علم التجارة الذي يهتم يعلم النقود أو علم المسكوكات ONEISMATIQUE وهو الدراسة العلمية للنقود وتاريخها وقيمتها ويبرهن على أنها تاريخ للبشر ومصادر حياتهم وتاريخهم الاقتصادي.

ويرتبط مصطلح الفونيم أو الوحدة الصوتية بهذه النظرية التي كانت خطوة متطورة في الدراسة اللغوية، والوحدات الصوتية محدود في كل لغة وهي تختلف عن الأصوات التي تعرفها لغة أخرى.

ولقد قدم علماء براغ في ضوء شرحهم للفونيم وتطوير الفونولوجيا إسهامات في ميادين أخرى للسانيات مثل علم الأصوات الأسلوبي أو الأسلوبية الصوتية (PHONOSTYLISTIQUE ويدرس الأصوات في الخطاب وعلاقتها بالمعنى، أو أسلوبية الكلام الشعري في مستواه الصوتي، وقد اهتم بهذا المبحث البلاغيون العرب القدامي مثل ابن سنان الخفاجي في سر صناعة الإعراب، وكانت الموضوعات التي تناولوها فصاحة الأصوات و التعبير عن أثرها فيه[43].

نشأت واهمية الدرس الصوتي في الدراسات القرآنية :

من المسلمات في التاريخ اللغوي عند العرب انه منذ بزوغ فجر الإسلام، ونزول القرآن الكريم على نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، اخذ المسلمون بقراءته وتلاوته فضلا عن الحفاظ عليه من التحريف فاخذوا بحفظه في صدورهم فكان الجانب النطقي من أهم وسائل حفظ القرآن الكريم آنذاك، فوضع علماء العربية هذه الغاية نصب أعينهم ومن ثم وصفوا قواعد الدراسة اللغة العربية فوصفوا مخارج الأصوات وصفا دقيقا، وتحدثوا عن صفات الأصوات عن طريق الملاحظة فقط، من دون ان يكون لهم من الوسائل

([39]) ظ: قضايا الشعرية 33.
([40]) قضايا الشعرية 60.
([41]) سورة التغابن: 4
([42]) التحرير والتنوير: 268/28
[43] المدارس اللسانية اعلامها ، مبادئها ، ومناهج تحليلها للخطاب التواصلي ، د. احمد عزوز 98-100 ، ينظر : مدخل الى اللسانيات المعاصرة ، اطروحات مدرسة براغ ، د. حسني خاليد : 38 .

الآلية التي تستخدمها في الوقت الحاضر، فوصفوا المخارج والصفات العربية وغير العربية[44]. فنشا (علم التجويد) فكان هذا المبدأ السبب الأبرز في اهتمام علماء العربية في دراسة الأصوات فألفوا فيها الكتب والمصنفات.

ولعل ارتباط الدراسات الصوتية بالقرآن الكريم من حيث النطق السليم للأصوات في ضبط مخارجها وصفاتها، دفع الكثيرين إلى التوهم في ان الدراسة الصوتية انما هي من اختصاص علماء التجويد والقراءات، ونحن لا نشك في ان علماء التجويد كان لهم النصيب الأوفر في تحمل مجيء هذه الدراسة وتولي رعايتها من بعد ومتابعتهم للبحث فيها، وان كان ذلك بطريقة خاصة ومنهج معين، وهكذا انتقلت البحوث الصوتية على ما يبدوا – من الميدان اللغوي الدقيق إلى ميدان البحث في مناهج ((الاداء القرآني)) وظلت هذه البحوث تتابع سيرها عبر الزمن في هذا الميدان بصورة أو بأخرى[45]، وهذا الارتباط هو الذي يقود إلى القول ان علم الأصوات قد ارتبط بعلم التجويد.

غير ان علم التجويد، من حيث هو علم، ((يعني بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها وما يترتب على ذلك من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق ظهر في حدود القرن الرابع الهجري لانه لم يعرف كتاب ألف في هذا العلم قبل ذلك القرن بمعنى آخر ان علم التجويد تأخر ظهوره من حيث هو علم مستقل إزاء علوم العربية اكثر من قرنين من الزمان وان جهود علماء العربية من نحويين ولغويين كانت تقوم بالمهمة التي قام بها علم التجويد بعد ان كتب له الظهور في تعليم الناطقين بالعربية أصول النطق العربي الصحيح فقام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وصاغوا منها علم التجويد مواصلين أبحاثهم بالاستناد إلى تلك المادة مضيفين اليها خلاصة جهدهم حتى اصبح علم التجويد علما متقدما في دراسة الأصوات اللغوية))[46].

لعل ابا الاسود الدؤلي (69هـ) كان اول اللغويين العرب قد وجه عنايته الى الدرس الصوتي من خلال وضع الشفتين ، حينما وضع نظام النقط في العربية قائلاً لكاتبه : (اذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه الى اعلاه ، وان ضممت فمي فانقط بين يدي الحرف ، وان كسرت ، فاجعل النقطة من تحت الحرف).

ومهما يكن من امر فقد كان الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ) هو أول من وضع أصول هذا العلم من العرب[47] فاعتنى بدراسة الأصوات اللغوية وألف كتاب العين الذي بين فيه آراءه الصوتية في مخارج الأصوات وصفاتها فسمى كتابه (العين) لأنه بدا بصوت العين وفي مقدمته الموجزة نجد أول مادة صوتية تدل على أصالة علمه وعلى الرغم من ان كتابه يعد أول معجم في العربية يمتاز بالتفرد فانه أرسى فيه أساس علم الأصوات عند العرب من خلال مقدمته التي ضمت معلومات ذات قيمة علمية وتاريخية تتعلق بتحليل الأصوات العربية ودراستها، دراسة عربية خالصة لم يسبقه اليها أحد سواه من العرب أو غير العرب فهو صاحب أول دراسة صوتية منهجية في تاريخ الفكر الصوتي عند العرب[48].

وعندما درس الخليل مخارج الأصوات وصفاتها كانت أفكاره وتعليلاته طريق من جاء بعده من علماء العربية فجاء بعده تلميذه سيبويه (ت 180هـ) إذ انه استلهم أفكار الخليل وصاغها وطورها بشكل يتسم بالشمول والدقة فكان دقيقا في تحليلاته وتقسيماته لصفات الأصوات ومخارجها فضلا عن الظواهر الصوتية التي دسها دراسة واعية تنم عن إدراك عميق لأسباب تلك الظواهر وأبعادها الصوتية. حيث ان اختلاف الغايات في الدراسة كان سببا في اختلاف مضمون الدراسة عند الخليل وسيبويه.

ويمكن ان نعد ابن جني (ت 392هـ) من ابرز العلماء الذين استطاعوا ان يستوعبوا إنتاج الخليل وسيبويه، بعد ما نقل الأزهري وابن دريد (ت 321هـ) فكرة الخليل لكنه يتهيأ لها من عمل على إتمامها أو السير في

---

[44] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها 49.
[45] ينظر: علم اللغة العام، الأصوات 169-170.
[46] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 19-20.
[47] ينظر: التطور النحوي 11، ومدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو 168.
[48] ينظر: مدرسة الكوفة 168.

ضوئها فبقت هذه الفكرة تحمل الخطوط الكبرى للدراسة الصوتية[49]، حتى جاء ابن جني فوضع ما يشبه نظرية الصوت اللغوي عند العرب من خلال الجهد الكبير الذي بذله في دراسة الجانب الصوتي فأضفى لونا من الدقة بين انها دراسة لغوية مهمة يجب على كل عالم في اللغة ان يضعها في عين الاعتبار فأقروا كتابا خاصا بالأصوات سماه (سر صناعة الإعراب). فجاءت آراءه في هذا الكتاب لتثير إعجاب المستشرقين وعلماء اللغة الغربيين،، سوى علماء اللغة من العرب – لان نظرته في دراسة الأصوات كانت نظرة علمية دقيقة، إذ جمع بين الجانب النظري والجانب العلمي التطبيقي فكانت عنوانا على تفوقه في دراسة الأصوات فقد تكلم على الصوت بكلمات علمية لها مفهومها المحدد. فضلا عن تناوله الأصوات العربية من معظم جهاتها وائتلافها في تركيب الألفاظ.[50]

ومن بعد هؤلاء اخذ العلماء في دراسة الأصوات من خلال بحوثهم ومؤلفاتهم في الموضوعات اللغوية إذ اهتم به الصرفيون لانهم يعللون لبعض الصيغ التي تدخل الأصوات في نطاق دراستها كإبدال الصرفي والإعلال والإدغام والإمالة والحذف وغيرها من المسائل التي كانت تدخل مادة الصرف على الرغم كونها صوتية، وبعدها اخذ المعجميون بدراسة الأصوات لانه في نطاق دراستهم، وقد أشرنا إلى دراسة ابن دريد في الجمهرة.

اما علماء البلاغة فلم يخرجوا عن الدراسة الصوتية لانهم كانت لهم بحوث تتعلق بالأصوات تتحدث عن فصاحة اللفظة واضعين شروطا لخلوها من تنافر الأصوات وهو ما يعرف في علم الأصوات بالدراسة التنظيمية وهي طريقة تأليف الأصوات فكانت كتب البلاغة نحو إعجاز القرآن للرماني (ت 384هـ)، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت 446هـ)، ومفتاح العلوم للكسائي (ت 626هـ) مثلا بارزا على أهمية الجانب الصوتي في الدراسات البلاغية.[51]

فضلا عن علماء القراءات من نحو ما كتبه ابن مجاهد (ت 324هـ) في كتابه (السبع في القراءات) وابن الباذش (ت 540)، وعلم الدجن السنحاوي (ت 643) وغيرهم الذين نجد في مؤلفاتهم مباحث صوتية واضحة عالجت وبشكل منهجي اغلب الظواهر الصوتية[52].

ولذلك نجد إشارة العلماء المحدثون إلى أصالة هذا العلم والبحث فيه عند العرب فقال شاده ((لم يكن هناك من الشعوب القديمة الا شعبان قد بحثا في كيفية الأصوات وانتاجها بحثا فاق بحث اليونان دقة وعمقا، وهما الهند والعرب))[53]. وان الهند سبقوا العرب في وصف الأصوات بألف سنة أو اكثر، وقد زعم بعض المستشرقين ان العلماء العرب قد اقتبسوا علم الأصوات من الهند[54].

غير ان مذهب العرب في دراسة الأصوات يخالف مذهب الهند في أمور مهمة فالعرب قد استحدثوا هذا العلم من مداركهم الخاصة بأنفسهم، اما الهنود فقد تناولوا الدراسة الصوتية في مخارج الأصوات تحت الرغبة في اجادة ترتيل الكتاب المقدس المعروف بفيدا (veda) فاهتموا بما خلفه اليونان، وأضافوا إليه دراسة تناولت مخارج الأصوات، فاستكملوا بذلك ما فات اليونان من استكماله[55]. فهو يسمى عند المحدثين بعلم الأصوات الوصفي، اما العرب فقد دفعهم القرآن الكريم إلى دراسة الأصوات وعلوم العربية الأخرى، ولذلك نجد ان العرب اعتمدوا الأبجدية على الأصوات المفرد مثل (ب، ت، ث) بينما الهنود كانت أبجديتهم تعتمد على المقاطع من نحو (خا، يا، حا). وتعد هذه الأمور من المخالفات في مذاهب الطرفين لدراسة الأصوات. فالشعوب التي دخلت الإسلام في القرنيين الأولين من قرون الإسلام، كانت

---

[49] ينظر: مدرسة الكوفة 168.
[50] ينظر: أصوات اللغة العربية، 10.
[51] ينظر: إعجاز القرآن 73-92، سر الفصاحة 110-113.
[52] ينظر الإقناع 1: 164 – 521، وجمال القراء وجمال الإقراء – السنحاوي، 2: 498-632.
[53] علم الأصوات عند سيبويه وعندنا 30.
[54] ينظر المصدر السابق 30.
[55] ينظر: مدرسة الكوفة 169.

غايتهم ان يحسنوا قراءة المصحف الشريف، وينطقوا أصواته نطقا عربيا خالصا فلم يجدوا سبيلا إلى ذلك الا بعد الاطلاع على أصوات اللغة العربية وقواعدها.[56]

لذلك وضع علماء العربية تلك القواعد لتعليم هؤلاء الداخلين في الدين الإسلامي سواء كانوا علماء عربا في أصولهم كالخليل، أو علماء من أصول غير عربية فارسية مثلا، دخلت في الدين الإسلامي، فكان سيبويه رجلا فارسيا خلف لنا وصفا مفصلا لأصوات العربية وانتاجها فكانت دراسته في كتابه المشهور مصدرا لكل ما كتبه المتأخرون من علماء العرب، ليس في علم الأصوات فحسب، وانما في الصرف والنحو. فهو التلميذ الذي حفظ لنا تراث وعلم أستاذه الخليل في علوم العربية.

وظلّت الدراسات الصوتية القديمة ابتداء من مؤسسها الخليل إلى ما قبل العصر الحديث تصدر عن الملاحظة فقط، وبقيت تلك الدراسات عبارة عن ملاحق أو أجزاء من مؤلفات القدامى فلم تصدر تلك الدراسات في مؤلفات خاصة اي منفردة عن الدراسات النحوية والصرفية بل ظلت ملاصقة لها، وبعد العصر الحديث واكتشاف وسائل الدرس الحديثة المتطورة استطاع المحدثون ان ينهضوا بهذه الدراسة وجعل لها مكانا خاصة. أسموه بعلم الأصوات اخذ العلم يدرس بشكل مستقيل نوعا ما عن الدراسات النحوية والصرفية حيث تدرس الأصوات منفردة وتدرس أيضا من خلال التركيب وألفت كتب ومؤلفات خاصة بالدراسة الصوتية وبعنوانات هي الأخرى تعكس مدى الاهتمام بهذا العلم وكانت من ابرز هذه المؤلفات دراسة الدكتور ابراهيم انيس (الأصوات اللغوية) كذلك دراسة الصوتي اللغوي للدكتور احمد مختار عمر وعلم اللغة العام – الأصوات للدكتور جمال محمد بشر ناهيك عن دراسات المستشرقين للأصوات تعلم الأصوات كالبرج والتفكير الصوتي عند العرب لهذي فليش كذلك دروس في اعلم أصوات العربية لجان كانينيو. كل تلك الدراسات جاء مستندة على أساس الخليل الذي شيده وبناه بعده سيبويه، فقد اقر المحدثون اكثر تلك الآراء والحقائق الصوتية التي جاء بها الخليل وسيبويه ومن بعدهم ابن جني.

يذكر الدكتور غانم قدوري الحمد عددا من انواع علم الاصوات منها :

1- علم الأصوات النطقي :

وهو الذي يهتم بدراسة حركات أعضاء النطق من أجل إنتاج أصوات الكلام وتحديد مخارج الأصوات وبيان الصفات الصوتية التي تشكل الصوت (١).

وهذا الفرع من فروع الدراسة الصوتية أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدماً وأكثرها حظاً في الانتشار في البيئات اللغوية كلها، ويرجع السر في ذلك إلى وظيفة هذا الفرع وإلى طبيعة الميدان المخصص له، فهو يدرس نشاط المتكلم بالنظر في أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات، فيُعينُ هذه الأعضاء ويحدد وظائفها ودور كل منها في عملية النطق .

2-علم الأصوات الفيزياوي :

الصوت طاقة أو نشاط خارجي تقوم به أجسام مادية، ويؤثر في الأذن تأثيراً يحدث عنه السماع. والصوت اللغوي أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة أعضاء النطق ، ويشتمل الصوت على موجات تنتشر في الهواء بسرعة ٣٤٠ متراً في الثانية .

ووظيفة علم الأصوات الفيزياوي وقد يسمى (علم الأصوات الأكوستيكي) دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، فهو يحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء .

3- علم الأصوات السمعي :

لا تتحقق للصوت الذي تنتجه أعضاء آلة النطق قيمة فعلية إلا بعد أن تستقبله أذن السامع، كما أن وظيفة اللغة التي هي أصوات منطوقة - لا تتم إلا إذا كان الكلام يحصل بين شخصين أو أكثر فعملية سماع الأصوات جزء أساسي في أداء اللغة لوظيفتها، لكن آلة السمع يرتبط عملها بعمل آلة النطق أو مصدر

[56] ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا 31-32.

التصويت. وكان علماء اللغة يعنون بدراسة إنتاج الأصوات في آلة النطق من دون الاهتمام بأثرها في السمع [57].

فيما وضع عددا من العلماء العرب والمستشرقين تعريفات عديدة للصوت منها :

أن الدكتور ابراهيم انيس عدّ الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل ان ندرك كنها .

فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق اليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز ، على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات . كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازى أو سائل أو صلب حتى يصل إلى الأذن الانسانية[58] .

ويرى الدكتور كمال بشر : أن الصوت اللغوى أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق والملاحظ أن هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة، ويتطلب الصوت اللغوى وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة . أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضا. ومعنى ذلك أن المتكلم لابد أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على الأصوات اللغوية [59].

فيما يرى العالم اللغوي أبل كرومبي أن هذا العلم (أي علم الأصوات) يتناول دراسة "وسط" اللغة المنطوقة بجميع أوجهها وتنوعاتها. ويقصد بهذا "الوسط"، الوسط المستعمل في النطق والتكلم في جميع اللغات الانسانية، سواء أكانت بدائية، أم متحضرة، وكما هو مستعمل في جميع أساليب الكلام : الحسنة منها والسيئة، العادية وغير العادية، وهو يؤلف مع علم اللغة العلوم اللغوية".

و يرى كريستال أن هذا العلم يدرس خصائص صنع الصوت البشري، وعلى نحو خاص، تلك الأصوات المستعملة في الكلام، ويزودنا بطرق لوصفها، وتصنيفها، وكتابتها"[60] .

اهمية الدرس الصوتي :

يعدّ علم الأصوات أبستمولوجيًا(Epistemologically)من العلوم القديمة الحديثة، إذ يشكّل بمستوياته المختلفة الروح واللبنة الأساس في جسد اللغة، فضلًا عن أنّه الحارس الأمين للغة الفصيحة من التأثيرات السلبية للهجات العامية التي لا تهتم – في الغالب – بالنطق السليم، ولا يخفى على حصيف أنّ النّظر في تأريخ اللسانيات العربية يؤيد ذلك تمامًا، والصوت أمره عجيب كما ذكر الجاحظ "وتصرّفه في الوجوه أعجب. فمن ذلك أنّ منه ما يقتل، كصوت الصاعقة. ومنه ما يسرّ النفوس حتى يفرط عليها السّرور؛ فتقلق حتى ترقص، وحتّى ربما رمى الرّجل بنفسه من حالق". ولقد حظي الدرس الصوتي باهتمام العلماء فقد التفت إلى صلته بالدراسات اللغوية، كثير من أساطين اللغة القدماء: كالخليل وسيبويه، وابن جني، وغيرهم من العلماء؛ إذ بسطوا فيه القول؛ لما له من أهمية في فهم كتاب الله عزوجل. وقد انماز النظام الصوتي في القرآن الكريم بقدرته على التصوير من جهة، والتنغيم من جهة أخرى مما يساعد ذلك على توافر أساليب متعددة في مسألة التبليغ التي هي الغاية السامية منه، لذا فهو من أحسن الكلام" فقليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان معناه شريفًا ولفظه بليغًا وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف؛ لذا صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة" وذكروا أنّ الطبيب "ماسرجويه اليهودي" (101هـ) قد بَكَى من قراءَة أبي الخوخ، فقيل له: كيفَ بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّقُ به؟ قال: إنما أبكاني (الشجا). فالقرآن الكريم احتجن أغراضا، منها :(التبليغ وإظهار القدرة الإلهية، وسن الشرائع، والتنبيه، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والثناء على الأبرار، وذم الفجار، ووصف النعيم وأهوال الجحيم...)، وهي أحوال مختلفة اقتضت نظامًا صوتيًا غير مألوف عند البشر حتى يؤثر في أمّة انمازت

---

[57] المدخل الى علم الاصوات – غانم قدوري الحمد :33 .

[58] الاصوات اللغوية د. ابراهيم انيس :6

[59] علم الاصوت : كمال بشر 119 .

[60] علم أصوات العربية – د. محمد جواد النوري : 7 .

بعلوٍ كعبها في علوم اللغة. لذا فإنّ ملاحة نظم القرآن، الذي هو أُسّ ُ إعجازه، قائم على تخليق الإيقاع الذي يَسِم بنيةَ كلِّ سورة من السور بسمة فريدة. بل إنّ هذه السِّمة الإيقاعية تتشكل بصور متنوعة مختلفة في السورة الواحدة، وفقًا للموضوع أحيانًا، ولمقام الحال أحيانًا أخرى. فإعجازه يظهر لك في كل وحدة لغوية تركيبية أو فوق التركيبية فتجده في دلالة الصوائت والصوامت وفي الإيقاع والتنغيم والنبر وغيرها من الظواهر، ودونك مثلًا على ذلك، قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا "مريم: 83.

(أَزًّا) الأزّ: التهييج والاضطراب وشدة الحركة، والهمزة في (أَزًّا) يتضح فيها الثقل المخرجي؛ لأنَّ النُطق بها(كالتّهوّع)، ولا سيما أنّها من حروف الحلق، وقد تدافعت غايتان هنا "غاية الأداء، وغاية الدلالة المنشودة" من السياق فعلى المتلقي تجشم عناء الأداء –مع الثقل المخرجي-بغية الوصول إلى الدلالة المنشودة. وربما يسأل سائل ويقول إذا استبدلنا الهمزة بالهاء في غير القرآن فإنها تؤدي الدلالة. أقول له: نعم. قد تؤدي الدلالة، ولكنها دلالة منقوصة فـ(هَزّا) نعم تدل على الاضطراب والاهتزاز ولكن الخارجي فقط، بيد أنَّ الدلالة المنشودة في القرآن أبعد غورًا من ذلك، إذ تريد أن تصف اضطراب الكفّار في الداخل والخارج؛ لذا جاء اللفظ بالهمزة المعتصرة وحالُ ناطقها (كالمتهوّع) الذي يضطرب داخليًا وخارجيًا؛ لاستفراغ ما في جوفه. فحدث تناسب بين صفة الصوت ودلالته. وصوتون(الهمزة)هنا أضفى دلالة لا تتحقق في غيره إذ أظهر أنّ الكافرين الذين تمّ أزّهم لم يكن أزًّا خارجيًا فقط بل كان في الروح والجسد، ولا سيما إذ علمنا أن صوتون (الزاي) الصفيري تكرر مرتين في اللفظ[61].

وسيتناول الطالب في هذا المبحث دراسة صوتية لسورة التغابن وفق اللسانيات الوظيفية :

دراسة إحصائية المخارج الأصوات

بعدما عرضنا الجوانب النظرية في الفصل الأول سنتطرق هنا إلى مدى بروز المخارج في سورة التغابن و تناسبها وسوف تعمل على بعض آيات السورة تفاديا للتكرار.

قال تعالى : (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (1) ، نجد أن لفظة يسبّح مركبة من أصوات متقاربة من حيث المخارج وهذه هي علة تناسبها فصوت (الياء) له صفة الانفتاح و الـ (س) صفة الهمس ، والـ (ب) جهر ، والـ (ح) همس وهذه الصفات تتناسب بشكل كبير مع معنى الكملة المعجمي ، إذ انّها تدل على زيادة ذكر الله جل وعلا جهرا وهمسا .

كما نجد ذلك في لفظ الحمد بصفات مقاربة للمعنى ، فيما نجد لفظ (القدير) التي تدل على القوّة والعظمة والقدرة ملاءمة لمعاني وصفات الاصوات ، فالقاف من صفاته الشدّة والجهر ، والدال تدل على الجهر والشدّة ، والراء التي تدل على التكرار ، للدلالة على قدرة الله تعالى في كل وقت .

امّا في لفظ (البلاغ) فنجد بأنّ الالف تناسب شدة البلاغ ومعناه ، فالرسول الاكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالغ في النصح وبذل غاية المجهود في سبيل الدعوة الى الاسلام ونجاة أمته ، والغين صوت يتّصف بالجهر والاستعلاء وهو ما يناسب تلك الاطالة في الابلاغ والشاء فيه ن كما ورد في سورة طه في قوله تعالى : (طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) .

واذا ما ذهبنا للفظ (العظيم) لوجدنا دلالات الاصوات ووظائفها في نسق الكلمة تناسب معانها ، وكأن الحروف تآلفت بأصواتها لتنتج معنى يعرفه حتى من جهل معناه المعجمي ؛ بل الاصوات ونغمتها تدل على المعنى ، فالـ (العين) مجهور في أقوى صفاته ، والـــ (الظاء) مجهور ومستعلٍ وهو حبكة اللفـــــــــــظ إن صحّ التعبير فالعظمة والعلو تتناسبان مع هذا الصوت ، والياء تدل على الاستطالة والامتداد ، فامتداد عظمة الخالق لا يحدّها حد ، والميم من فاتها الجزم والقطع فالعظمة لله لا لغيره .

وبعد أن تناول الطالب مجموعة من الكلمات كنماذج للدلالة الصوتية الوظيفية لسورة التغابن ، يمضي لاحصاء تلك الاصوات في عموم السورة المباركة لبيان ما طغى فيها من أصوات ودلالتها وفق جدول

[61] علم الاصوات واهميته في اللغة والقران – الدكتور علي حسين الشمري

العدد3 No 3
ايار 2026 May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

بياني إحصائي يتناغم والدراسة المنهجية الوظيفية للاصوات – محل البحث – اذا ما علمنا ان عدد الحروف في السورة 2.59 حرف لتتضح النسبة المؤية لكل حرف في السورة .

التسلسل	الحرف	عدد مرات الذكر	صفته	النسبة المؤية
1	أ	189 مرة	الجهر والشدة	%9
2	ب	38	الجهر والشدّة	%1.8
3	ت	36	همس وشدّة	%1.6
4	ث	3 مرات	همس ورخاوة	%0.14
5	ج	6 مرات	جهر وشدّة	%0.29
6	ح	16 مرّة	همس ورخاوة	%0.77
7	خ	7 مرات	همس ورخاوة	%0.30
8	د	15 مرّة	جهر وشدّة	%0.75
9	ذ	16 مرّة	جهر ورخاوة	%0.77
10	ر	40 مرّة	جهر وتكرير	%2
11	ز	6 مرّات	جهر وصفير	%0.29
12	س	19	همس وصفير	%1
13	ش	6 مرات	همس وتفش	%0.29
14	ص	11 مرة	همس وصفير	%0.53
15	ض	6 مرات	جهر واستطالة	%0.29
16	ط	4 مرات	جهر وقلقلة	%0.19
17	ظ	مرتان	جهر واستعلاء	% 0.12
18	ع	33 مرة	جهر واصمات	%1.3
19	غ	8 مرات	جهر واستعلاء	%0.34
20	ف	36 مرة	همس ورخاوة	%1.6
21	ق	14 مرة	جهر وشدة	%0.73
22	ك	35	همس وشدة	%1.5
23	ل	12	جهر وتوسط	%0.52

24	م	90	جهر وتوسط	%4.37
25	ن	67	جهر وتوسط	%3.25
26	هـ	50	همس ورخاوة	%4.10
27	و	105	جهر ولين	%5.09
28	ي	70	جهر ولين	%3.50

يتضح من الجدول أعلاه أن النسبة المؤية الاكثر استعمالا للاصوات في السورة هو (الالف) اذ كانت النسبة المؤية لاستعماله 9% أي بواقع 18 مرّة ، وهو ما يتناسب وغاية السورة التي دارت على ضرورة الابلاغ والتبليغ والانذار وهو ما يناسب الشدة والاستطالة .

فيما جاء في المرتبة الثانية من الاستعمال صوت الواو بواقع 105 مرة بنسبة 5.09 % وهو ايضا من اصوات المد والاستطالة والقوة فالالف صوت مد يدل على الانفتاح وهو اكثر انتشارا يلاءم الدعوة والانذار ، امّا الواو فهو من أقوى اصوات المد ، اذ هيمن الصوتان على مجمل السورة بين الانفتاح والانتشار وبين القوة والاستطالة ، وهذا ما يلاءم المعنى الذي دارت فيه السورة بين الانذار والدعوة للاسلام من جهة ، وبين عذاب الكافرين وقدرة الله تعالى على كل شيء من جهة اخرى .

والله أعلم

الخاتمة

-يتضح مما سبق في بيان المعاني العامة الوظيفية لسورة التغابن تلاءم الاصوات مع غايات السورة العامة في الانذار والبيان والوعد والوعيد .

- إنّ لدارسة الوظائف الصوتية للحروف أهمية بالغة في اظهار لمسة من اللمسات البيانية في آيات القرآن الكريم التي لا تحصى بياناته ، ويظهر اعجازه الا الراسخون في العلم .

- يبدو ان قلة الدراسات الوظيفية للسور القرآنية تعود لصعوبة الدراسة والاحصاء الدقيق ، اضافة لجدّة الدرس اللساني .

- إنّ الوظائف التي وضعها ياكبسون للغة جعلت منها أكثر واقعية وحرية في بيان معاني الاصوات ودلالات اللغة الاجتماعية .

- الوظائف اللغوية التواصلية في المنهج اللساني الوظيفي مازال حديثا ومعاصرا وقابل لتطبيقه في الدراسات اللغوية في جوانبه ومستوياته المختلفة .